مجلة "يعلون"، م.أ. منشيه، 2018.

نحن معهم في الطريق إلى الشفاء

تقرير: سارة كوخافي

منذ عشر سنوات تعمل، جمعية "الطريق إلى الشفاء"، على الطرقات بين معابر الحدود والمستشفيات في البلاد من منطلق الإيمان بأن هذه هي الطريق لإفساح المجال أمام تقديم علاج منقذ للحياة لسكان السلطة الفلسطينية وكذلك لتقريب المصالحة بين الشعبين. يعمل في الجمعية نحو 15 مواطنة ومواطنًا من المجلس الإقليمي منشيه.

في جمعية "الطريق إلى الشفاء" تقوم مجموعة من الأشخاص المتطوّعين بمساعدة المرضى الفلسطينيين، وخاصة الأطفال، من خلال نقلهم إلى المستشفيات المختلفة في أنحاء البلاد، علمًا أن هذه المساعدة مخصصة للمرضى الذين يحتاجون علاجات منقذة للحياة.

يقول مؤسس الجمعيّة، يوڤال روط، من برديس حنا: "المرضى الذين نقوم بنقلهم، ومعظمهم من الأطفال، تتم دعوتهم لغرض الفحوصات، الرقود في المستشفى وتلقّي العلاجات التي ليس بإمكانهم تلقّيها في مناطق السلطة الفلسطينية. وعائلات هؤلاء المرضى تعاني ضائقة اقتصادية، لا تتيح لهم تمويل السفريات. نحن نساعد يوميًا 100 شخص على الأقل، نقوم بنقلهم ابتداء من معبر الجلمة (جلبوع) في أقصى

الشمال وحتى معبر إيرز في الجنوب (غزة)، وذلك لكل المستشفيات في إسرائيل، وفي القدس الشرقية ومن ثمّ نعيدهم إلى المعابر". وحسب أقواله، بعد أن تحوّلوا إلى جمعيّة، أصبح بإمكانهم استرجاع تكاليف الوقود لأصحاب السيارات الذين يقومون بنقل المرضى، وهذا الواقع ساعد في توسيع دائرة المتطوّعين. جميع النشاطات في الجمعية هي تطوّعية فقط وتهدف، بالإضافة إلى نقل المرضى وعائلاتهم، إلى شراء معدّات كمعينات طبيّة، بعد الحصول على استشارة مهنيّة من قبل طبيبة العائلة د. دانا زليـچمان، وتنظيم أيام ترفيهية لعائلات المرضى خلال السنة. تلقّت الجمعية على مدى عشر سنوات من النشاط، عددًا لا يحصى من ردود الفعل التي تحمل التقدير والشكر من طرف عائلات المرضى. ويؤكد روط أنّ "هذا الذي يعطينا القوة للاستمرار في هذه الطريق. نحن نؤمن أن هذا النشاط، إلى جانب الجانب الإنساني، سيقرّب القلوب، يعمّق التعارف ويشجّع المصالحة بين الشعبين".

وكما ذكر، جزء كبير من المرضى الفلسطينيين يتم نقلهم من معبر الحدود ريحان/ برطعة الذي يقع بجوار منطقة نفوذ المجلس. وتقول شوشي فليشطاين - عوفر من تلمي العزار: "فعلا، يتطوّع في الجمعية الكثير من سكان مجلسنا الذين يؤمنون بالعمل في سبيل المصالحة. "أنا متطوّعة جديدة في الجمعيّة. سمعت عنها منذ فترة طويلة، وأخيرًا أصبح لديّ الوقت للانضمام إليها. أنا أقوم مرّة في الأسبوع/ الأسبوعين بنقل مرضى في الطريق من معبر الحدود ريحان إلى مستشفى تل هشومير ذهابًا وإيابًا. وفي هذه السفريات تكوّنت علاقات شخصيّة مميّزة جدًا. أحيانًا، تجري محادثة وأحيانًا أخرى ابتسامات ولفتات فقط. وكما قال يوڤال: في هذه اللقاءات تتكوّن جزر صغيرة من السلام، حيث ستتوحّد ذات يوم وتصبح جزيرة واحدة كبيرة من السلام".

بفضل المرحوم ليونارد كوهين

قبل إقامة الجمعية، كان هناك نشاط لمتطوّعين ساعدوا يوڤال روط، حيث وصلت إليه توجّهات لسفريات من الطرف الفلسطيني. وفي أعقاب ظهور المغني المرحوم ليونارد كوهين في البلاد، أجرى مساعده اتصالا مع يوڤال، كونه يقوم بالتبرّع لأجسام تساهم في المصالحة بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وقد اشترط تبرّعه بأن تحوّل الأموال إلى الجمعية. وتقول روتم غور آفيئيلي، من غان شومرون "من خلال هذه القصة تجنّدت لمساعدة يوڤال على إقامة جمعيّة مُمأسسة. وفي سنة 2010 تمأسست الجمعية واليوم يبلغ عدد أعضائها أكثر من 1000 متطوّع. ومنذ ذلك الحين أنا عضو في مجلس الإدارة وسكرتيرة المجلس. أساعد في مشاريع الجمعية. وأحيانًا أقوم بنقل المرضى، ولكن ليس بشكل ثابت. سيحصل ذلك عند التقاعد".

وعن تجاربها تضيف روتم: "في إحدى المرّات عندما قمت بنقل أب مع ابنتيه المريضتين من معبر دوتان إلى المستشفى، كانت المحادثة بالإنجليزية والأب، مدرّس في الثانوية، حدّثني أنه قبل أن تصاب ابنتاه بالمرض كانت آراؤه مثل معظم الفلسطينيين تجاه الإسرائيليين. وعندما مرضت ابنتاه وكان بحاجة للقدوم إلى مستشفى في إسرائيل تخوّف كثيرًا. ويقول إنه اعتبر الإسرائيليين وحوشًا وفقط بعد أن التقى بأصحاب السفريات تبيّن له أن هناك يهودَ أيضًا هم كالملائكة. والشخص نفسه تحوّل إلى سفير في قريته وروى عن تجاربه لجيرانه ولعائلته، وهكذا كتموّج الأمواج انتقلت قصته من شخص إلى آخر. هذه قصة بمثابة عيّنة ممثلة، لأن جميع المرضى الذين نقوم بنقلهم يعربون عن الامتنان والتقدير ويتحدّثون في محيطهم عن التجربة اللطيفة والخاصة التي مرّوا بها خلال سفرتهم".

أنا في الطريق إلى الشفاء

يقول أڤراماليه فرانك من چان شموئيل: "منذ سنوات عدّة أقوم بنقل مرضى فلسطينيين من المعابر في الجلمة (جنين)، ريحان أو إيال، إلى المستشفيات في إسرائيل: رمبام، تل هشومير أو حيث يحتاج الأمر. وأنا أرى في ذلك أقل ما يمكن القيام به من أجل السكان الذين تقوم دولتي باضطهادهم وقمعهم بقسوة منذ 50 عامًا. أنا سعيد بهذه الفرصة الأسبوعية للقاء الأعداد الكبيرة وهم يخرجون، في ساعات الصباح، من المعابر المختلفة باتجاه إسرائيل، للعمل فيها لكي يخدمونا وأنا أفكر في الكلمات القديمة: "هبّوا ضحايا الاضطهاد... ضحايا جوع الاضطرار (من نشيد الأممية - المترجم). كلام متطرف ولكن هكذا هي الحال". ويضيف قائلا: "مؤسس جمعية "الطريق إلى الشفاء"، يوڤال روط، أصبح أيضًا أحد المتصدّرين في المنتدى الإسرائيلي - الفلسطيني للعائلات الثكلى. هاتان العمليتان ولدتا معًا تقريبًا، في أعقاب مقتل أخيه على يد فلسطيني. قبل ثلاث سنوات اعتقدت بأن يوڤال يستحق جائزة إسرائيل واقترحت اسمه (في السنوات التالية حاول ذلك آخرون أيضًا)، ولكن هذا ليس وقتًا جيّدًا لأناس مثل يوڤال ينشدون الرحمة والسلام. عندنا تطلق المدافع نيرانها كل الوقت، نحن نحيا بالسيف، وهكذا سيكون لسنوات طويلة بعد. أشخاص مثل يوڤال غير مرغوبين في أجندة نحيا بالسيف. وأجد ضرورة لأن أذكر شخصين آخرين: ياعيل، زوجة يوڤال، التي تهتم دون توقف بنشاط الجمعية، وتنقل إلينا النشرة الأسبوعية الهامّة، ويوني آشر "مديري" الذي يفعّل لواء الشمال بروح رائعة وبالكثير من العقل والحنكة. أناس طيّبون، هم والسائقون الكثر، على طول الطريق. بالإضافة إلى أڤراماليه فرانك يتطوّع على الأقل ستة آخرون من الأعضاء والعضوات من چان شموئيل. والآخرون من كتسير، چان هشومرون، معنيت، عين شيمر، تلمي العزار ومأور.

النشاط يتوسّع

في سنة 2017 كانت هناك زيادة ملموسة في حجم نشاط الجمعيّة. كان مجموع كيلومترات السفريات حوالي 1,050,000 كم، في 8150 سفرة، لنحو 15,200 مريض، معظمهم أطفال. كانت السفريات لمستشفيات رمبام في الشمال؛ "إيخيلوف"، "شنايدر"، "شيبا"- تل هشومير، "بيلنسون"، "وولفسون" و"أسوتا" في المركز؛ وكذلك إلى "ألين"، "هداسا"، "شعاري تسيدك"، "المقاصد"، "أوغوستا ڤيكتوريا- المُطّلع" و"سانت جون" في القدس. ويواصل أعضاء الجمعية نقل ثلاثة أطفال، يخضعون لعلاجات الديناليزا، مع مرافقيهم من غزة كل أسبوعين، وبشكل ثابت، من "إيرز" إلى مستشفى "شعاري تسيدك"، ذهابًا وإيابًا. لقد اتّسعت دائرة المتطوّعين. وحسب التسجيلات وفي هذه السنة أضيف 338 متطوّعًا. وبالمقابل، ازداد كثيرًا عدد الطلبات للمساعدة في النقل. في منطقة الشمال (للفلسطينيين من الضفة الغربية) هناك قدرة على تلبية قرابة 100% من الطلبات، وفي منطقة المركز والجنوب تنجح الجمعية في تلبية 95% من طلبات المرضى الذين يخرجون من جنوب جبل الخليل ومن غزة.

في هذه السنة توفي عدد من الطفلات والأطفال، الفتيات والفتيان وحتى من البالغين، الذين كان متطوّعو الجمعيّة قد قاموا بمرافقتهم على مدى فترة طويلة في السفريات للعلاجات والمراجعات. وقامت مجموعات من المتطوعين بزيارة بيوت عائلات المتوفين لتقديم واجب العزاء. وأكدت هذه الزيارات، مرّة تلو الأخرى، العلاقة التي توطدت بين المتطوعين وعائلات المرضى، وأتاحت للعائلات التعبير عن تقديرها الكبير للمساعدات، الأمر الذي ذكّرنا مرارًا وتكرارًا بالمعنى العميق لهذا التطوّع.

جمعيّة فلسطينية موازية

جمعية "بسمة أمل" تنسّق السفريات في غزة، بينما في الضفة الغربية يعمل منسق السفريات الفلسطيني، نعيم البيضة، الذي يعمل بوظيفة كاملة في إطار جمعية فلسطينية تدعى "الأرض الخضراء- چرينلاند" الكائنة في الخليل. وإلى جانب التنسيق سيقيم البيضة أيضًا شبكة مواصلات داخل أراضي السلطة الفلسطينية، لتساعد المرضى في الوصول من منازلهم إلى المعابر المختلفة. وبالإضافة إلى ذلك سيكون نعيم الممثل الرسمي للجمعية أمام السلطة الفلسطينية، بحيث أن المريض الذي يحصل على تحويلة من السلطة للعلاج في إسرائيل سيحصل على معلومات من السلطة حول إمكانية السفر إلى المستشفى بواسطة جمعيتنا. كانت المعلومات أعلاه، حتى اليوم، تصل إلى عائلات المرضى "من شخص إلى آخر" بشكل عشوائي. وقد أتيح تشغيل البيضة بمساعدة دعم "صندوق روزانا" الذي يُعنى بمساعدة جهاز الصحة في فلسطين من خلال تأهيل طواقم طبّية، تمويل علاجات طبّية ودعم شبكة سفريات الجمعية. وكان الصندوق قد قدّم تبرّعًا قيّمًا لجمعية "الأرض الخضراء - چرينلاند" لتمويل نشاطها. وتوجد للجمعية ممثليّة في الولايات المتحدة الأمريكية تفعّل مشروعًا لتجنيد جماعيّ. كما أنه بفضل هذا المشروع وتبرّعات أخرى من شركات ومنظمات، تنجح الجمعية في تسيير حافلة صغيرة، أربع مرات في الأسبوع، من معبر "إيرز" إلى المستشفيات في القدس، من أجل تلبية معظم الطلبات للسفريات من غزة.

"نعيم لِهَكير" (نتشرّف بالتعارف)

في سنة 2017 كانت تخرج كل شهر مجموعة من متطوّعي الجمعية، أفراد عائلة وأصدقاء إلى جولة قصيرة جدًا في منطقة خط التماس، في قرية جيّوس المجاورة لجدار الفصل العنصري بإرشاد نعيم البيضة، مركّز السفريات في منطقة المركز في إطار مشروع جمعية "نعيم لِهَكير" (نتشرّف بالتعارف). يهدف المشروع إلى معرفة الفلسطينيين عن كثب من أجل تقريب القلوب الذي سيذيب الخوف المغذّي للنزاع لدى الطرفين. وبفضل المشروع توثقت العلاقات كثيرًا بين نعيم البيضة ومتطوّعي الجمعيّة. في هذه السنة كثيرة النشاط، خرج في كل مرّة 35 طفلا و35 والدًا مرافقًا من غزة لرحلة استجمام في قرية نهر الأردن، وكما كل سنة، كان الاستجمام بالنسبة للأطفال والآباء أسبوعًا من الاستراحة والمتعة، وتجربة لا شك ستبقى محفورة في ذاكرتهم. وبالإضافة إلى ذلك، جرى في شاطئ "سدوت يام" "يوم صحة وسعادة" لـ 200 من أفراد عائلات المرضى من جنوب ووسط الضفة من خلال التعاون المثمر مع طاقم "كيف يام" (متعة بحريّة) وشركة الشبيبة في الكيبوتس. وتم تنظيم يوم ترفيه إضافي على شاطئ "معـچان ميخائيل" لـ 200 من أفراد عائلات مرضى آخرين، بالأساس من شمال الضفة. ومرّة أخرى، كما في كل سنة تعاون أعضاء الكيبوتس والبحرية وساعدوا كثيرًا في تنظيم يوم الترفيه. وبمناسبة عيد الأضحى قبل سنة قام 80 مريضًا مع مرافقيهم بزيارة للقدس لمدة يوم وأدوّا الصلاة في المسجد الأقصى. وكالمعتاد، استعانت الجمعيّة بجمعيات الشبان العرب- "عطاء" و "فكّر بغيرك".

متقاعدون يتجنّدون للتطوّع

سنة 2017 كانت سنة نشطة للغاية، نجحت فيها الجمعية في التعامل مع حجم النشاط المتزايد، ولم يكن ليتسنّى ذلك إلا بفضل مساعدة وتجنّد المتطوّعين. وخلصت غور آفيئيلي إلى القول: "أدركنا مع مرّ السنين أنّ هناك عددًا كبيرًا من المتقاعدين يسرّهم أن يشاركوا في نقل المرضى، وهذا يخلق لديهم معنى كبيرًا للحياة، ولكنهم لا يستطيعون أن يموّلوا مصروفات الوقود، ومن الناحية الأخرى هنالك أشخاص معنيّون بالمساهمة في التطوّع وهم ذوو قدرات اقتصادية، ولكن ليس لديهم وقت فراغ وهم على استعداد أن يتبرّعوا. وهكذا تكوّن تكامل مثالي. كل من يقدّم وصولات بمصروفات الوقود يحصل على استرجاع. وكل شخص لديه الرغبة في أن يكون شريكًا في الطريق التي تقرّب بيننا وبين جيراننا، وقلبه مفتوح لمعاناة وألم الآخر، يستطيع أن ينضم إلينا للتطوّع والتبرّع".

للاتصال: جمعية "الطريق إلى الشفاء" (ج.م 580525533)

شارع هتلاليم 4، برديس حنا- كركور 37021

هواتف: 050-5281899 | 050-9480111

بريد إلكتروني: roadtorecovery10@gmail.com

وندعوكم لزيارتنا أيضًا عبر حساب الفيسبوك.

للتبرّعات: بنك لئومي، فرع 954 حساب رقم 20710070

لتفاصيل إضافيّة: يوڤال روط - هاتف: 050-5281899

بريد إلكتروني: yuvalr54@gmail.com